الحركة العلمية في بغداد خلال العهد السلجوقي وعوامل ازدهارها

447-590هـ/1055-1194م

أ . كـريبي خـالـد

المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة

الجزائر

ملخص الدراسة:

إذا كان التاريخ السياسي للأمة الإسلامية قد ألحقت به الكثير من المغالطات وصُورت أغلب عهوده بأنها فترات صراع على السلطة، وحروب دامية بين أبنائه حول الأحق بالخلافة والإمامة طغت على الفترات الطويلة من الاستقرار والأمن والحرية التي شهدها المجتمع الإسلامي، وهو جانب نجح فيه المستشرقون إلى أبعد حد وأصبحت صورة طاغية على التاريخ الإسلامي.

غير أن الجانب الحضاري من هذا التاريخ لم تستطع هذه الأيدي أن تحجبه عن الإنسانية رغم سعيها وكيدها بل إنها اضطرت للتسليم بالإنجاز الكبير لهذه الأمة على امتداد تاريخها رغم بعض الفترات التي انتكست وتعثرت فيها الحياة السياسية.

وتحاول هذه الدراسة الوقوف عند النظرة التي قال بها بعض الباحثين عن أن الفترة الثانية من الخلافة العباسية هي عصر انحطاط وهي الفترة التي سيطر فيها السلاجقة على الخلافة العباسية 447-590هـ/1055-1194م ، وهو كلام لا يجانب الحقيقة ولا يتلاءم مع ما كان من غزارة التأليف التي تنبئ عن وجود العلم والعلماء الذين نبغوا في شتى التخصصات. كما يقلل من ما قدمته هذه الشعوب القادمة من أقصى الشرق للحضارة الإسلامية بعد نجاحها عسكريا وسياسيا.

L'intitulé de l'article :

Le mouvement scientifique à Bagdad pendant l'époque Seldjoukides et Les facteurs de son effervescence

Résumé de l'étude :

Si l'histoire polique de la nation musulmane lui ont accolée beaucoup d'impostures et que la plus part de ses époques n'étaient que des combats pour le pouvoir et des guerres sanglantes entres ses fils réclamant la succession (kilafa) et l'mamat ont régné sur de longues périodes de stabilité, de sécurité et de liberté qu'a vécu la société musulmane, et là, c'est un côté où les orientalistes ont belle et bien réussi à l'assombrir et que cette image domine l'histoire Islamique.

Cependant, il existe un autre côté de cette histoire, celui de la civilisation musulmane que les mains n'ont pas pu le voilé et le caché à l'humanité malgré leurs incessants efforts et ruses à l'effacée mais par contre elles se sont trouvées obliger de reconnaître les grandes œuvres

de cette nation tout au long de son histoire malgré certaines périodes où la vie politique a trébuché et connue une certaine décadence.

Cette étude essaie de spéculer le point de vue de certains Chercheurs disant que la deuxième époque de la succession (kilafa) des Abbassides était une ère de décadence où les seldjoukides ont pris possession du pouvoir entre (447-590(hidjir)/ 1055-1194), mais cela est totalement erronée est n'a aucun lien avec la réalité vu l'intence prolifération des œuvres écris et l'existence du savoir(sciences) et des savants qui se sont excellés dans toutes sorte de spécialités, ce qui minimise largement la contribution du peubles venants de l'extrême Orient à la civilisation islamique après son succès militaire et politique.

مقدمة:

على الرغم من تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية خلال هذه الفترة إلا أن الحركة العلمية استمرت في الازدهار والتوسع نتيجة الرعاية التي كانت تلقاها من أولى الأمر على اختلاف مستوياتهم، فقد استمر خلفاء بني العباس في دعمها هم ووزرائهم رغم تقلص سلطتهم السياسية، لأن ذلك كان من صميم واجباتهم ،كما أنهم كانوا مطالبين ومجبرين على أن يكونوا على قسط وافر من العلم والمعرفة حتى يجاروا عصرهم، أما حلفائهم السلاجقة فرغم إعراض حكامهم الأوائل عن العلم وبساطة تعليمهم ،إلا أن الأمر تغير بمرور الوقت؛ وأصبح العلم والعلماء يحظون برعاية ودعم منهم.

وتباين هذا الاهتمام من خليفة لآخر ومن وزير لآخر تبعاً لعوامل معينة أهمها شخصية الحاكم وتوجهه الفكري وتأثير الظروف السياسية على فترة حكمه ،كما أن هذا الدعم أخذ عدة مظاهر.

ومن المعروف أنه مهما بلغت مكانة العلماء وعلا شأنهم فإنهم لا يستطيعون القيام بمهمة التعليم ونشر العلم وممارسة دورهم في المجتمع، ما لم يتلقوا الرعاية والمساعدة والدعم والتشجيع من قبل حكامهم الذين شغفوا بالعلم والمعرفة، فلا يمكن لنا أن نتصور الشهرة العلمية، والنهضة الحضارية، التي وصلت لها الدولة العباسية، سواء بعلمائها أو علومها ومعارفها، أو إنجازاتها الحضارية، بمعزل عن خلفائها، وبعيداً عن رعايتهم المتواصلة، ودعمهم اللامحدود.

الإشكالية: سنحاول من خلال هذه الدراسة السريعة والمختصرة الإجابة عن الإشكالية التالية:

ما هي العوامل التي ساهمت في ازدهار الحركة العلمية في العهد السلجوقي؟

وهذا ما سيحاول هذا العرض السريع الإجابة عنه، والذي ينبني على ثلاث محاور وهي:

أولا: اهتمام الخلفاء العباسيين ووزرائهم بالحركة العلمية.

ثانيا: عناية السلاطين السلاجقة ووزرائهم بالحياة العلمية.

ثالثا: دور العلماء في تنشيط الحركة العلمية.

رابعا: دور الأسر العلمية والمرأة في تنشيط الحياة العلمية.

أولا: اهتمام الخلفاء العباسيين ووزرائهم بالحركة العلمية:

1- الخلفاء:

اهتم الخلفاء العباسيون بالعلم وأهله في هذا العصر، بل كانوا هم أنفسهم من محبي العلم ومريديه، فإذا كان الخليفة عالما ومن عشاق العلم، زها العلم وسعد في أيامه فقد كان الخليفة القائم بأمر الله زاهدا، عالما، له عناية بالأدب، ومعرفة حسنة بالكتابة ،يستأنس بالعلماء ومحاضرتهم، والأدباء ومحاورتهم[1]، ولم يختلف الخليفة المقتدي(ت487هـ/1094م)عن جده القائم بأمر الله فكان محبا للعلوم، مكرما لأهلها، وكان عزيز الفضل كامل، العقل، بليغ النثر فمنه :«الألسن الفصيحة أنفع من الوجوه الصبيحة، والضمائر الصحيحة أبلغ من الألسن الفصيحة»[2].وازدحمت مجالسه بشيوخ العلم كالشيخ أبو إسحاق الشيرازي الشافعي (ت 476هـ/1183م) وأبو محمد التميمي الحنبلي(ت 488هـ/1095م)[3].

أما المستظهر بالله (ت 512هـ/1118م) فكان حسن الخط ،جيد التوقيعات، لا يقاربه فيها أحد ،يدل على فضل غزير، وعلم واسع، سمحا، جوادا، محبا للعلماء والصلحاء. وصنفت له التصانيف الكثيرة في الفقه والأصول وغيرها منها كتاب الباطنية للإمام الغزالي(ت 505هـ/1112م) وقدمه له وسماه المستظهري[4].

ومن الخلفاء الذين شجعوا الحركة العلمية الخليفة المسترشد بالله (ت 529هـ/1135م) الذي عرف بهمته العالية وكفاحه للتخلص من التسلط السلجوقي، ولم يكن في الخلفاء من كتب أحسن منه، وكان يستدرك على كتابه، ويصلح أغاليط في كتبهم، وله نظم، ونثر مليح[5].وهو الذي صنف له أبو بكر الشاشي (ت507هـ/1113م) كتاب العمدة في الفقه، وبلقبه اشتهر الكتاب، ومن شعره لما أُسِرَ:

ولا عجباً للأسْدِ إن ظَفِرت بها كلاب الأعادي من فصيح وأعجم

فحربة وَحْشي سقت حمزةَ الردى وموتُ علي من حُسَام ابن مُلْجَمِ

وبعد خلع الخليفة الراشد بالله (ت 530هـ/1136م) وقتله بحيث لم تستمر خلافته أكثر من سنة ،بويع المقتفي لأمر الله(ت555هـ/1161م)، وكان عالما فاضلاً دينا، حليما شجاعا ومقداما مهيبا خليقا بالإمارة، وهو أول من استبد بالعراق منفردا عن السلطان من أول أيام الديلم إلى أيامه، وتمكن من الخلافة [6] .

وكان المقتفي لأمر الله في أول أمره متشاغلا بالدين و نسخ العلوم و قراءة القرآن ، وقرب إليه الكثير من العلماء منهم طبيبه ابن التلميذ (ت 560هـ/1166م) الذي تولى رياسة الطب ببغداد والإمام النحوي أبا منصور الجواليقي شيخ اللغة في عصره (ت540هـ/1146م) الذي جعله إماما يصلي به[7]. ومن العلماء الذين توفوا في عصره الزمخشري المفسر (ت538هـ/1144م) صاحب الكشاف، والشهر ستاني صاحب (الملل والنحل) وأبو بكر الدينوري الفقيه الحنبلي (ت532هـ/1138م) وغيرهم.

لقد أولى الخليفة المقتفى لأمر الله الحركة الفكرية اهتماما كبيرا حتى أنه كان محبا للحديث وسماعه، عالماً بالصحيح والسقيم، معتنياً بالعلم مكرما لأهله، وممن نالوا الحظوة لديه المؤرخ المشهور البنداري صاحب كتاب « تاريخ دولة آل سلجوق»[8].

أما ابنه أمير المؤمنين المستنجد بالله :أبو المظفر يوسف ابن المقتفي (ت 566هـ/1172م) بويع يوم وفاة أبيه، فكان موصوفا بالعدل والرفق، والشدة على المفسدين، قال ابن النجار[9] : «كان المستنجد موصوفا بالفهم الثاقب، والرأي الصائب، والذكاء الغالب، والفضل الباهر، له نظم بديع ونثر بليغ، ومعرفة بعمل آلات الفلك والاسطرلاب وغير ذلك » ومن شعره :

عيرتْني بالشيب وهو وقار ليتها عيرت بما هو عار

إن تكن شابت الذوائب مني فالليالي تَزِينها الأقمار[10]

وممن برز من العلماء في فترة حكمه الشاعر البغدادي ابن الخازن (ت 559هـ/1165م) ومدرس النظامية أبو النجيب السهروردي (ت 563هـ/1169م)، ومرجان الخادم صاحب القراءات ،الشافعي الذي تعصب على الحنابلة[11].

وشجع الخليفة المستضيء بأمر الله (ت 575هـ/1181م) العلم و فرق مالا عظيماً على العلماء والمدارس والرُّبَطِ وكان دائم البذل للمال[12]، كما كان يطلب ابن الجوزي وبأمره يعقد مجلس الوعظ، ويجلس بحيث يسمع ولا يرى، ويميل إلى الحنابلة[13]. وللشاعر حيص بيص(ت 574هـ/1180م) فيه:

يا إمامَ الهُدى عَلَوتَ عَنَ الجُو د بمال فِضَّةٍ ونضَارِ

فَوَهَبْتَ الأَعْمَارَ والأَمْنَ البلـ دان في ساعة مَضَتْ من نهارِ

فبماذَا نُثني عَلَيكَ وقَدْ جَا وَزْتَ فَضْل البُحُورِ والأَمْطَارِ[14]

وكان الخليفة الناصر لدين الله الذي لم يكن هناك خليفة سواه (ت 622هـ/1225م) ،وزال سلطان السلاجقة وزالت دولتهم في عهده، فصيح اللسان، بليغ البيان، شجاعا، شهما ذا فكرة صائبة، وعقل رصين[15].

شجع الخليفة العلم واحتفى بالعلماء، ودوام على حضور مجالس العلم التي تعقد في ساحة قصور الخليفة حيث يذكر ابن جبير في رحلته عند ذكر مدينة السلام أثناء مشاهدته مجالس الوعظ التي كانت تعقد: "ثم شاهدنا مجلسا ثانيا له[16]، بباب بدر في ساحة قصور الخليفة، وهذا الموضع المذكور هو من حرم الخليفة وخص بالوصول إليه والتكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفة ووالدته ومن حضر من الحرم..."[17].

كما أمر الخليفة الناصر بعمارة خزانة الكتب بالمدرسة النظامية ،حيث نقل إليها الآلاف من الكتب النفيسة وشيد مسجد السلطان الذي كانت تقام فيه الكثير من الدروس ومجالس الوعظ، أما والدته السيدة زمرد خاتون فشيدت مسجد الحظائر ببغداد.[18]

2-الوزراء: حين دخل السلاجقة بغداد سنة (447هـ/1055م) عاد نظام الوزارة إلى سيرته الأولى حيث عين الخليفة القائم بأمر الله وزيرا بعد أن حرم هذا الحق من قبل البويهيين، كما تمتع السلطان السلجوقي بهذا الحق فأصبح هناك وزيران وزير للخليفة ووزير للسلطان[19].

وكان وزير السلطان أكثر نفوذا من وزير الخليفة[20]، وكثيرا ما كان يتدخل في أمور واختصاصات وزير الخليفة، وأكثر من ذلك يطالب بعزل وزير الخليفة إذا اختلف معه، فقد طلب نظام الملك من الخليفة المقتدي لأمر الله عزل وزيره أبي شجاع.و مع ذلك فان الخليفة كان يعتبر الوزارة متممة للخلافة، كما أن الوزير وقف بجانب الخليفة في محاولة استرداد هيبة الخلافة فيما بعد.

وقد شغف الكثير من الوزراء في هذا العصر بالعلم والأدب شغفا عظيما حيث كان منهم العلماء والأدباء وحتى الشعراء، بالإضافة إلى حرص الكثير من الخلفاء والسلاطين على اتخاذ الفقهاء والأدباء وزراء لهم، وهو ما جعل الحياة العلمية تزدهر وتبلغ أوجها في هذه الفترة.

ومن أشهر وزراء الخلفاء العباسيين الوزير عميد الدولة بن جهير (ت 493هـ/1099م) الذي خدم ثلاثة خلفاء، ووزر لاثنين منهم، وكان فصيحا، أديبا، بليغا، يتقعر كالوزير ابن عباد في خطابه وله نظم جيد [21]، قرأ الأحاديث على المشايخ، وكان يجيز العلماء ويثابر على صلاتهم وكثير الصدقات عليهم ومدحه شعراء عصره[22].

وفي سنة 476هـ/1082م استوزر الخليفة المقتدي لأمر الله مكانه أبا شجاع محمد بن الحسين الروذراواري، وكان كاتبا بليغا، وله الشعر الحسن والرسائل البديعة ونثره أجود من نظمه وخطه أجود منهما. وكان له معرفة بالأدب والحساب والفقه[23]، وقال عنه ابن كثير: «كان من خيار الوزراء كثير الصدقات والإحسان إلى العلماء والفقهاء، وسمع الحديث من الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وغيره وصنف كتباً منها كتابه الذي ذيله على «**تجارب الأمم**»[24]

وكان لا يجلس في الديوان إلا وعنده الفقهاء، فإذا وقع له أمر مشكل سألهم عنه فحكم بما يفتونه[25]. كما تذكر المصادر أن عصره كان أحسن العصور وزمانه أنظر الأزمان، ولم يكن في الوزارة من يحفظ أمر الدين وقانون الشريعة مثله[26] .

ويذكر المؤرخون عدة أسباب لعزل الوزير أبي شجاع[27]، وأنه لما عزل خرج إلى الجامع ماشيا، ومعه جماعة من العلماء والزهاد، فالتف الناس حوله يصافحونه، ويدعون له ،فقيل للخليفة إن أبا شجاع أراد بهذا التشنيع عليه، فصدر أمر الخليفة بأن يلزم أبو شجاع داره[28].

ولعل من أعظم الوزراء في العهد السلجوقي اهتماما بالعلم، وتشجيعا للعلماء أبا المظفر يحي بن محمد بن هبيرة الفزاري ولقبه الخليفة المقتفي لأمر الله "عون الدين " والذي لعب دورا أساسيا في مساندة الخليفة، من خلال حنكته وبعد نظره، ومن خلال أعماله السياسية والاقتصادية والعسكرية ، والتي أعادت للأذهان صورة الوزراء الأوائل للخلافة العباسية، قال عنه ابن العمراني: « لم يُسمع بأن كان لبني العباس وزير مثله قبله ولا بعده»[29].

فقد استطاع هذا الوزير الذي دَرسَ في مدارس بغداد وأخذ العلم عن كبار شيوخ عصره أن يصبح من خيرة العلماء ويصنف الكتب في شتى أنواع المعرفة، فقد صنف كتاب « **الافصاح في معاني الصحاح** » قدم فيه شرح لصحيحي البخاري ومسلم، وكتاب في النحو هو «**المقتصد**»، وصنف كتاب العبادات الخمس على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وهو ما جعل الذهبي يصفه بصاحب التصانيف[30].

هذه الخلفية الثقافية هي التي جعلته يبالغ في تقريب خيار العلماء والفقهاء والمحدثين عندما تولى الوزارة، ويجتهد في إكرامهم وإيصال النفع إليهم، وكان يكثر مجالسة العلماء والفقراء، وكانت أمواله مبذولة لهم

ولقد قال مرة في وزارته:« والله لقد كنت أسال الله تعالى الدنيا لأخدم بما يرزقنيه منها العلم وأهله»[31]. ويذكر الذهبي:« أنه في إحدى مجالس الوزير ،ذكر حديث تفرد الإمام أحمد به دون الثلاثة، فأدعى أبو أحمد الأشيري المالكي[32]: أنها رواية عن مالك، ولم يوافقه على ذلك أحد وأحضر الوزير كتب مفردات الإمام أحمد والمالكي مقيم على دعواه فقال له الوزير: بهيمة أنت ؟ أما تسمع هؤلاء الأئمة يشهدون بانفراد أحمد بها والكتب المصنفة، وأنت تنازع وتفرق المجلس فلما كان من الغد قال للجماعة: إنه جرى مني بالأمس في حق هذا الرجل مالا يليق،

فليقل لي كما قلت له، فما أنا إلا أحدكم ،فضج المجلس بالبكاء، وجعل يقول القصاص القصاص ،فلم يزل حتى قال يوسف الدمشقي[33] مدرس النظامية إذ أبى القصاص فالفداء ،فأعطاه مئتي دينار، وقال مئة لإبراء ذمته ، ومئة لإبراء ذمتي»[34].

كما أسس ابن هبيرة مدرسة في الجانب الغربي من بغداد سنة 557هـ/1162م لتعليم الطلاب وأقام فيها الفقهاء ورتب لهم الجارية وإعاشتهم، غير أنها لم تدم طويلا في تقديم تلك الخدمات لأنها اندثرت بوفاة مؤسسها[35].

وممن اهتم بالعلم والعلماء في هذه الفترة الوزير شرف الدين علي بن طراد الزينبي، وهو أول هاشمي يلي الخلافة لوزارء بني العباس وكان إماما فاضلا فقيها بارعا في مذهب الإمام أبا حنيفة[36]، وقد امتاز بحسن تدبيره للأمور فضلا عن ذلك كان عالما محبا لأهل العلم يقرأ القرآن والحديث، وكان مجلسه عامرا بالفقهاء، وقد استوزره الخليفة المسترشد بالله وقال عنه:« كل من رددت إليه الوزارة شُرف بها إلا أنت فان الوزارة شرفت بك »[37].

ثانيا – عناية السلاطين والوزراء السلاجقة بالحركة العلمية:

1- الحكام السلاجقة:

لم تكن عناية السلاطين السلاجقة بالعلم في بداية ظهورهم كبيرة ،فقد شاع عنهم أنهم كانوا جفاة وغير مثقفين، واضطروا إلى الاستعانة برجال أكفاء لخدمة الدولة في مختلف الشؤون الإدارية والسياسية والعلمية[38].

على أنه مع مرور الوقت، واختلاط السلاطين برجال السياسة والفكر، وجلساء وعلماء ،قد عرفوا معنى التعلم وقدروا العلماء، وحظوا لديهم بالتشجيع ومنحوهم كل اهتمام، فقد أثنى العلماء على طغرلبك الذي كان يقول:« أنه يستحي من الله أن يبنى دارا ولا يبني بجنبها مسجدا »[39]، وقال السبكي عنه: «كان السلطان طغر لبك رجلا حنفيا، سنيا، خيرا، عادلا، محبا إلى أهل العلم ، من كبار الملوك وعظمائهم»[40] أما السلطان ألب أرسلان (ت465هـ/1072م) فقد أحب العلم ومال إلى صحبة المثقفين وسماع ما عندهم وكان كثيراً ما يُقرأ عليه تواريخ الملوك وآدابهم،

وأحكام الشريعة[41] وقرب العلماء وأخذ بنصحهم، وهو من أخمد الفتنة التي اشتعلت في عهد عمه طغرلبك بين علماء السنة وعلماء الأشعرية[42].

وعلى الرغم من انشغال آلب ارسلان بكثرة الحروب الداخلية والخارجية إلا أن عهده كان بداية للنهوض الحضاري، وصار عصره امتداداً للحضارة الإسلامية التي وصلت إلى أماكن بعيدة من هذه المعمورة، فقد اهتم بالعلم والأدب ورعاية العلماء وأنفق الكثير من ماله عليهم ، وقد ذكر ذلك البنداري: «كان أهل الدين والعلم والفضائل راتعون في إنعامه ... وفي أيامه نشأت للناس أولاد نجباء، وفي عصره نشأت طبقة الكتاب الجياد ... ولم يزل بابه مجمع الفضلاء وملجأ العلماء ...»[43]

ومن مشجعي الحركة العلمية السلطان ملكشاه الذي شجع العلم ونشر الحضارة، وكان يهتم بالمراكز العلمية كإنشاء المدارس والربط، كما ولع بالفلك[44] وشجع دراسة العلوم الدينية والعقلية بمعونة وزيره نظام الملك. وبالإضافة إلى اهتمامه بالعلم والعلماء فقد كان عالما وشارك العلماء في التأليف، ونقل عنه أنه صنف رسالة في وصف مملكته وأخباره[45].

أما حفيده السلطان أبو القاسم محمود بن محمد بن ملك شاه الذي كان قوي المعرفة بالعربية، حافظا للأشعار والأمثال، عارفا بالتواريخ والسير[46]، شديد الميل لأهل العلم إلى أهل العلم والخير، وأنه كان يناظر العلماء ويروي الأحاديث .

وتذكر المصادر أيضا أن السلطان سنجر[47] كان من أفضل آل سلجوق عقلا وعلما ومحبة لأهل العلم وكرما[48]،التف حوله مشاهير العلماء والأدباء، وكان يتقرب إليهم ويميل إلى الزهاد، وبنى كثيرا من المساجد والمدارس وأنشأ خزائن الكتب والربط وغيرها وقد ترتب على تشجيع السلطان سنجر للعلماء والكتاب والفقهاء أن أصبح عصره مشهورا بكثرة عدد شعرائه وعلمائه.

أما السلطان مسعود الذي جلس على عرش السلطنة سنة 527هـ/1135م فكان عادلا لينا، كبير النفس، حسن الخلق كريما عفيفا عن أموال الرعية، من أحسن السلاطين سيرة وألينهم عريكة. قال الذهبي عنه:« أبطل مكوسا ومظالم كثيرة، وعدَلَ، واتسع ملكه، وكان يميل إلى

العلماء والصالحين، ويتواضع لهم»[49]، وقد نسب إليه أنه كان يروي الحديث، وكان الناس يسمعون عنه.

2- **الوزراء السلاجقة:** كان منصب الوزارة أو الصدارة كما يعرف في العصر السلجوقي هو أعلى منصب في الدولة، حيث يشرف الوزير على جميع مرافق الدولة ويقدم المشورة والنصيحة للسلطان وهو عونه ومساعده في جميع الأمور.

وكان من الطبيعي أن يلجأ السلاطين السلاجقة الأوائل وهم غير مثقفين إلى استخدام الوزراء لا نجاز حوائجهم والمحافظة على سلطانهم، وإليهم يرجع الفضل في تثبيت أقدامهم على العرش ويكفي ما فعله نظام الملك وأولاده من أجل سلاطين السلاجقة ودولتهم التي كانت تحت تصرف أسرة هذا الوزير.

وبلغ نفوذ الوزير السلجوقي حدا كبيرا إلى درجة التدخل في شؤون الخلافة، وطبيعي أن ينعكس ذلك على الحياة الفكرية التي هي انعكاس للواقع السياسي وتداعياته، ذلك أن تكوين الوزير وميولاته تجعله يشارك ويعتني بها ويساهم في ازدهارها كما فعل نظام الملك وزير السلطان ألب أرسلان وملك شاه من بعده فقد كان نفسه عالما أديبا ، فشجع على نشر العلم والثقافة، وأنشأ المدارس لخدمة هذا الغرض[50]، وشمل العلماء والكتاب والشعراء بكثير من رعايته وتشجيعه، فاجتمع حوله الكثيرون منهم، وألفوا كتبا، وقدموها له ونظموا الأشعار في مدحه والإشادة بفضله يقول السبكي: « ملك طائفة الفقهاء بإحسانه، وسلك في سبيل البر معهم سبيلا لم يعهد قبل زمانه، هو أشهر من بنى المدارس، وشيد أركانهم..... ومجالسه معمورة بالعلماء، مأهولة بالأئمة والزهاد، لم يتفق لغيره ما أتفق له من ازدحام العلماء عليه، وترادهم إلى بابه، وثنائهم على عدله وتصنيفهم الكتب باسمه»[51] .

امتدت أيام وزارة نظام الملك ثلاثين عاما ،لم يغفل عن الإنعام على العلماء، وخدمة رجال المعرفة، وكان ينفق الكثير من ماله على أهل العلم والأدب، فكان أهل الدين والعلم والفضائل راتعون في إنعامه .

وكان نظام الملك عالما من جلة الوزراء خادما للعلم وأهله، متواضعا مع جميع الناس، لا يمنع أحدا من الدخول عليه، جوادا كريما، وكان يتصدق، ويعطي أصحاب الحوائج وينعم بالأموال الطائلة والهبات الجزيلة، ودولته كلها فضل، وأيامه جميعها عدل، ووقته وابل بالسماح مغدق، ومجلسه بجماعة العلماء صباح مشرق[52] .

لقد كانمجلس الوزير عامرا بالفقهاء وأئمة المسلمين وأهل التدين حتى كانوا يشغلونه عن مهمات الدولة، فقال له بعض كتابه: « هذه الطائفة من العلماء قد بسطتهم في مجلسك حتى شغلوك عن مصالح الرعية ليلا ونهارا، فإن تقدمت أن لا يوصل أحد منهم إلا بإذن، وإذا وصل جلس بحيث لايضيق عليك مجلسك» فقال: هذه الطائفة أركان الإسلام، وهم جمال الدنيا والآخرة ولو أجلست كلا منهم على رأسي لاستقللت لهم ذلك[53].

وكان إذا دخل عليه أبو القاسمالقشيري[54]، وأبو المعالي الجويني[55] قام لهما وأجلسهما معه في المقعد، فإن دخل أبو علي الفارمذي[56] قام وأجلسه مكانه، وجلس بين يديه، فعوتب في ذلك فقال: «إنهما إذا دخلا عليّ قالا: أنت وأنت، يطرونني، ويعظموننني ويقولون في ما لا في، فأزداد بهما ما هو مركوز في نفس البشر، وإذا دخل علي أبوعلي الفارمذي ذكرني عيوبي وظلمي، فأنكسر، فأرجع عن كثير مما أنا فيه» [57].

لم يكن نظام الملك وزيراً لامعاً، وحسب بل كان راعياً للعلم والأدب، ويحفل مجلسه بالعلماء والفقهاء والأدباء، بل كان هو أحد هؤلاء العلماء والفقهاء، فقدكان يحب العلم وخصوصاً الحديث، شغوفاً به وكان يقول: إني أعلم بأني لست أهلاً للرواية، ولكني أحب أن أربط في قطار نقلة حديث رسول الله (ص). وكان حريصاً على نشر العلم ومذهب أهل السنة الذي حاربه وحاول طمسه البويهيون والعبيديون الشيعة.

اعتمد نظام الملك من أول يوم لوزارته سياسة تقريب الرجال العلماء، الأكفاء والصالحين: فقد قال يوما لألب أرسلان، وقد خاف من عمه الذي خرج عليه يريد قتاله: «يا أيها الملك، لا تخف فإني قد استدمت لك جنداً، ما بارزوا عسكراً إلا كسروه كائنا ما كان، قال له ألب أرسلان:

من هم؟ ، قال: جند يدعون لك وينصرونك بالتوجه في صلواتهم وخلواتهم، وهم العلماء والفقراء الصلحاء»، لذا ارتكز مشروعه الإحيائي للمذهب السني والإصلاحي لشؤون الحكم على قاعدتي الجهاد والعلم. وكان بالفعل محبا لأهل العلم والإحسان إليهم، حتى أنه خصص لـ12 ألف من العلماء في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية رواتب ثابتة تصرف لهم بانتظام [58].

وأحب نظام الملك الصوفية، وكانوا محط أنظاره ومورد عنايته، حتى قيل أنه لم يكن يعير اهتمامه لغير الأئمة والمتصوفة، وكان ينفق عليهم ويؤمن لهم نفقاتهم سنويا، ويهتم بإيجاد خانقاهاتهم [59]، ويعتقد في شيوخهم، وهي كلها عوامل زادت في أهميته لدى المسلمين [60]. وأبعدت عن أعماله التعصب المذهبي والتحيز الطائفي، حيث كان يعتبر نفسه خادما للإسلام، وعمل طيلة الثلاثين سنة التي استوزر فيها على إقامة الوحدة الإسلامية على أساس جعل المذهب السني مذهبا عاما للمسلمين ومحاربة الشيعة عامة، والباطنية خاصة حربا لا هوادة فيها

وشاء القدر أن يقتل نظام الملك على يد ألد أعدائه وأبغضهم إلى قلبه وهم الباطنية، وقد رثاه الكثير من الشعراء منهم صهره شبل الدولة مقاتل [61] :

كَان الوزيُر نظام الملك لؤلؤةً نفيسة صاغها الرَّحمنُ من شرفِ

عزَّت فلم تعرف الأيامُ قيمتَها فردَّها غيرةً مِنْهُ إلى الصَّدفِ[62]

قال عنه ابن عقيل: «بهرت العقول سيرة النِّظام جوداً وكرماً وعدلاً وإحياء لمعالم الدين، كانت أيامه دولة أهل العلم، ثم ختم له بالقتل وهو مارٌّ إلى الحج في رمضان، فمات ملكاً في الدنيا ,ملكاً في الآخرة، رحمه الله» [63]

أما وزير السلاجقة الذي سبق نظام الملك ووزر لطغر لبك عميد الملك الكندري [64]، فرغم ما اشتهر به من حزم وحكمة وتدبير، وإجادته للغتين العربية والفارسية، وقربه من السلطان ومشاركته في كل تحركاته، ودخول بغداد معه،حيث لقبه الخليفة القائم بسيد الوزراء .

أظهر الوزير تعصبا شديدا على الشافعية وخاصة الأشاعرة، حتى أنه أمر بلعنهم مع الرافضة الشيعة، بعدما سمع سيده طغرلبك يذمهم، لأن الكندري كان حنفيا متشددا[65]، ولأن

طغرلبك قد اعتنق الإسلام على المذهب الحنفي فتعصب له ،فشق ذلك على المسلمين، وهو ما اضطر العلماء إلى الخروج من البلاد، وهو ما يعني أن الوزير ضيق على أهل العلم رغم إلمامه بفروع ثقافة ذلك العصر، وتذوقه لفنون الأدب ،ومهارته بأعمال الديوان وتحرير الكتب ونظم الشعر[66].

ورغم عدول الكندري عن التعصب لمذهبه فيما بعد ، إلا أن ما قام به سيكون أحد الأسباب الرئيسية في التحريض على قتله والدليل على ذلك عودة كبار العلماء والفقهاء بعد مقتله وإكرامهم من قبل نظام الملك[67] .

على أنه كان هنا كعدد من الوزراء السلاجقة، غير نظام الملك ممن أظهر اهتماما بالعلم والعلماء، فالوزير عبد الرزاق بن عبد الله بن علي بن إسحاق الطوسي (ت515هـ/1121) هـ ،كان من مشاهير العلماء وتولى التدريس في نظامية بغداد حتى أصبح وزيرا للسلطان سنجر.كما أن مستوفي السلطان ملكشاه قبله العالم شرف الملك أبو سعد محمد الخوارزمي(ت 494هـ/ 1100م) بذل المال الكثير لأهل العلم وأنشأ مدارس للأحناف منها مدرسة مشهد الإمام أبي حنيفة ببغداد التي افتتحت قبل المدرسة النظامية بشهور، وأوقف عليها ما يبلغ ثمانين ألف دينار سنويا للإنفاق على شؤونها وطلابها [68].

ثالثا – دور العلماء في تنشيط الحركة العلمية:

كان من الطبيعي أن تزدهر الحركة العلمية ببغداد نظرا لتلك الأعداد الكبيرة من العلماء من محدثين وفقهاء وأدباء، وطلاب العلم الذين كانوا يفدون إليها، فكان كل من تفوق في علم أو أدب فلا أمل في شهرته ونبوغه، وذيوع صيته وثروته، إلا إذا رحل إلى بغداد وتقرب بعلمه وأدبه إلى خلفائها وأمرائها. كما برزت أسر عريقة في العلم بها، ساهمت في إثراء ها وازدهارها كأسرة بنى الفراء وابن الجوزي وآل هبيرة وغيرها.

وقد قدم هؤلاء العلماء خدمات كبيرة للعلم وأهله من خلال الدفاع عن الدين وإحياء السنة وقمع البدع وذلك بشتى الوسائل، من ذلك إقامة المساجد والمدارس، وتأليف الكتب، وإقامة الحلقات، وإلقاء الخطب، والمناظرات التي كانت تتم في المجالس المختلفة.

ومن مظاهر دعم العلماء للحركة العلمية وقف جل حياتهم لخدمة العلم وأهله ومساهمتهم في مد يد العون للطلبة سواء كانوا من بغداد أو من خارجها، وقد أخذ هذا الدعم صورا مختلفة، كلا حسب طاقته، وظروفه فهذا الخطيب البغدادي(ت 463هـ/1069م) المؤرخ الشهير وصاحب كتاب "تاريخ بغداد" كان كثير الصدقة على طلبة العلم قال السبكي: «كانت للخطيب ثروة ظاهرة وصدقات على طلاب العلم دَارَة، يهب الذهب الكثير للطلبة »[69]، وأوقف جميع كتبه على طلبة العلم، ثم كتب إلى الخليفة القائم بأمر الله يستأذنه في توزيع ماله، فأذن له ففرقه على أصحاب الحديث[70].

ومن العلماء من ساهم في هذا الأمر بصورة أخرى، فقد جعل بعض العلماء من بيوتهم ومساجدهم مساكن لطلبة العلم، فقد كان مسجد أبو الفتح بن المني البغدادي الحنبلي (ت 583هـ/1236م) فقيه العراق معموراً بالفقهاء والقراء، واهتم بطلابه اهتماما كبيرا، فكان يكرمهم وينفق عليهم، وأمضى أكثر من خمسين سنة من عمره متفرغا للتدريس وخدمة تلاميذه، منهم ابن الجوزي[71].

وأكثر من ذلك فقد وجد الكثير من العلماء يعيلون بعض طلبتهم النجباء وذكر محمد بن احمد بن علي بن عبد الرزاق البغدادي المقرئ المعروف بأبي منصور الخياط (ت 499هـ/1105م) لما كان إماما بمسجد ابن جردة ببغداد بحريم دار الخلافة اعتكف فيه مدة طويلة يعلم الصبيان القرآن لوجه الله تعالى ويسأل لهم وينفق عليهم، فختم عليه خلق كثير وساهم في إقامة منشآت علمية ، مع الإنفاق على طلابها ومدرسيها، والاهتمام بأمورها[72]، وقال ابن عقيل(ت 513هـ /1119م) في حق شيخه أبي منصور بن يوسف[73]:«فحظيت منه بأكبر حظوة ... وقام بكل مؤونتي وتحملي»[74].

كما كان هناك الكثير من الأغنياء ممن أنفق أموالا طائلة على أهل العلم في بغداد منهم ابن جردة(ت476هـ/1083م) أحد رؤساء بغداد وأغنيائها، وصاحب تجارة، بنى عدة مساجد ووقف عليها وقوفا ،منها المسجد المعروف باسمه ، وقد ختم القرآن فيه ألوف[75].أما القاضي عبد الله بن أبي الفرج بن أبي خَازِمٍ البغدادي (ت580هـ/1184م) فجعل داره مجمعا لأهل العلم ،لقراءة الحديث ودراسة الفقه، وينفق عليهم بسخاء نفس وسعة صدر، فأوصله كرمه إلى الاستدانة، فغلبه الدين وباع معظم كتبه وأملاكه وانقطعت مجالسه العلمية واختفى في بيته مهموما[76].

إن مكانة العلماء وكلمتهم المسموعة لدى الخلفاء ورجال السلطة كان لها الأثر الايجابي على ازدهار الحركة العلمية، رغم أن التقرب من السلطة الحاكمة لم يكن مستحبا لدى أهل العلم ،لذلك حاول نظام الملك التوصل إلى كسب العلماء، وإزالة الجفاء المستديم بينهم وبين السلطة الحاكمة، ومن أجل كسب العلماء اتجه نظام الملك إلى احترام الخلافة وهو ما جعل العلماء يزدحمون على بابه ويصنفون الكتب باسمه منهم أبو المعالي الجويني أحد ابرز المشجعين للحركة العلمية وكان وحيد عصره في غزارة العلم، قصد بغداد والتقى بمشاهير العلماء، وبسبب إقباله على العلم ومواظبته على المناظرة تهيأ له مكان وقُبول لدى السلطان والوزير وعامة الناس وصار مقدما عند العلماء والأئمة والقضاة، وتنوعت مجالسه وتعددت وصنف في كل فن وبقي على ذلك قرابة ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع[77] وكان ينفق على طلبة العلم من ميراثه ومن معلوم له، ويبحث عمن يدرس الفقه لينفق عليهم[78].

أما تلميذه محمد بن أحمد أبو حامد الغزالي (ت505هـ/1111م) فلم تكن أهميته في تشجيع الحركة العلمية أقل من أستاذه إمام الحرمين الذي كان يعتد بمكانته العلمية في تدريسه ومناظرته وتصنيفه، وبعد وفاة الإمام الجويني غادر نيسابور قاصدا الوزير نظام الملك، وكان مجلس الوزير مجمعا لأهل العلم وملاذهم، فناظر الغزالي الأئمة العلماء في مجلس نظام الملك وقهر الخصوم، واعترفوا بفضله ونال القبول من الوزير وولاه التدريس بنظامية بغداد سنة

(484هـ/1091م)ولم يتجاوز الرابعة والثلاثين من عمره ، فأعجب الكل بحسن تدريسه، ومناظرته لأهل العلم ، واعترف له علماء عصره بالفضل والتقدم، وصار إمام العراق[79].

والمعروف أن الغزالي بعد عزلته وإعراضه عن الجاه والأصحاب ركز في تشخيصه لأمراض المجتمع في مواقع جمة على نقد العلماء المسلمين، وتحميلهم مسؤولية فساد الحكام والعوام، ويرى أن أدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، ويلوم الغزالي العلماء على تقاعدهم عن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واشتغالهم بالجزئيات في العلوم وانصرافهم عن العلوم النافعة، وقد ترتب عن فساد رسالة العلماء حسب رأيه التعصب المذهبي وانتشار التدين السطحي[80].

هذا بالإضافة إلى العديد من العلماء الذين ساهموا إلى حد كبير في تشجيع الحركة العلمية ببغداد فبنى الكثير منهم المساجد والمدارس والأربطة لأهل العلم، وأوقفوا عليها أوقافا كثيرة، ومنهم من كانوا يقومون في دورهم أو في مجالس العلم وحلقات المساجد، أو إلقاء الدروس في المدارس.

ومن مظاهر دعم العلماء للحركة العلمية في العهد السلجوقي كثرة تصانيفهم ومؤلفاتهم التي شملت مختلف علوم العصر، ويكفي للدلالة على ذلك ذكر ما صنف الإمام الغزالي التي بلغت أكثر من 400 كتاب في مختلف فنون المعرفة[81]، والمؤرخ والإمام عبد الرحمان ابن الجوزي الذي قال عنه ابن خلكان : « وبالجملة فكتبه أكثر من أن تعد »[82].

رابعا – دور الأسر العلمية والمرأة في تنشيط الحركة العلمية:

تميز العصر السلجوقي ببروز آسر وبيوت عريقة في العلم زاد عددها عن عشرين ببغداد استمرت في العطاء العلمي وقتا طويلا، وهو ما أعطى دفعا كبيرا للحركة العلمية، منها أسرة الفراء التي تنتسب إلى شيخ الحنابلة ببغداد القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء (ت 458هـ/1065م)، عرفت بالفقه والحديث، والقضاء والتأليف، استمرت هذه الأسرة في نشاطها قرابة القرنين آثرت خلالها المكتبة الحنبلية بالكثير من المصنفات[83].

أسرة أخرى ظهرت ببغداد هي أسرة ابن البناء نسبة للفقيه أبي علي ابن البناء (ت 471هـ/1078م) المحب لأهل العلم، مكرما لهم، وولداه أبو غالب أحمد بن الحسن (527هـ/1133م)، وأبو عبد الله يحي بن الحسن(ت531هـ/1137م)، حيث ساهم هذا البيت كثيرا في تنشيط الحياة العلمية من خلال حلقاته العلمية بمختلف مساجد بغداد ، وما صنفته من كتب في الفقه، والحديث، والفرائض، وأصول الدين، وفي علوم مختلفات[84].

أما الأسرة الحنبلية الثالثة التي اشتهرت بحضورها العلمي في بغداد هي أسرة آل هبيرة نسبة للوزير، العالم، العادل، صدر الوزراء، عون الدين، أبو المظفر (ت 560هـ/1165م)، وأولاده الثلاث شرف الدين (ت562هـ/1167م) وهو الأكبر عز الدين (ت561هـ/ 1166م) ومسعود (ت 606هـ/1210م) بالإضافة إلى إخوة الوزير وأحفاده[85].

اشتهر هذا البيت بين الناس بالعلم والعدل والحزم، وبالغ الوزير في إكرام أهل العلم من الفقهاء والمحدثين، واجتهد في إكرامهم، وصنف الكثير من الكتب في الحديث والنحو منها "الإفصاح عن معاني الصحاح" الذي كتب به نسخة لخزانة الخليفة المستنجد بالله، واشتغل به الفقهاء في ذلك الزمان على اختلاف مذاهبهم، يدرسونه في المدارس والمساجد[86].

أما بيت المؤرخ ابن الجوزي فهو بيت مشهور بالعلم، والمشاركة القوية في العلوم، ولم يكن لأبنائه حضورا كبيرا لأنهم تقلدوا مناصب في الدولة العباسية واشتغلوا بالتدريس، بعكس الوالد الذي عرف بكثرة مصنفاته التي تجاوزت 350 كتباً في شتى العلوم.

وحث ابن الجوزي في كتابه « **رسالة إلى ولدي** » على طلب العلم والحركة على سلوك طريقه، ويذكر أنه لم يبق له من أولاده الذكور سوى ولده أبي القاسم، فسأل الله تعالى فيه الخلف الصالح ويقول:" ثم رأيت منه نوع توان عن الجد في طلب العلم، فكتبت إليه هذه الرسالة، أحثه بها على طلب العلم، وأحركه على سلوك طريقي في كسب العلم "[87].

ولم تتخلف المرأة في العهد السلجوقي عن المساهمة في الحياة العلمية ببغداد، فقد شهد القرن السادس هجري/12م حركة علمية نسويه نشطة، ساهمت فيها عالمات من مختلف

الطوائف المذهبية معظمهن ينتسبن إلى أسر عريقة في العلم، ورحل إلى بعضهن الطلبة من مختلف الأمصار طلبا للعلم.

ولعبت المرأة البغدادية دوراً رائدا ومساهمة فعالة ومشاركة أكيدة في الحياة العلمية والثقافية إلى جانب زميلها الرجل، فاحتضنت بغداد عدداً كبيراً من العالمات الفاضلات اللواتي كن يتمتعن بعلو المكانة، والشهرة في الميادين العلمية، وبصورة خاصة الدينية منها في العلوم الإسلامية مثل علوم القرآن والحديث وأصوله اللغوية والأدبية،منهن فاطمة بنت علي بن المظفر بن زعبل، أم الخير، البغدادية (ت532هـ/1138م) المقرئة، روت «صحيح مسلم »، وكانت تلقن النساء القرآن الكريم[88].

أما شُهْدَة بنت المحدث أبي نصر بن فرج الدينوري البغدادي (ت 506هـ/1112م)[89] اشتهرت بمسندة العراق، ويذكر ابن الجوزي أنه قرأ عليها، وكان لها برٌّ وخير، وخالطت الدُّور والعلماء[90]، وكان زوجها من الأماثل والأعيان المعروف بثقة الدولة بن الأنباري (ت 549هـ/1155م)، واختص بالخليفة المقتفي لأمر الله، وفيه أدب ويقول الشعر، وبنى مدرسة لأصحاب الشافعي بباب الأزج وإلى جانبها رباطاً للصوفية [91] .

وكانت شهده من العلماء، وعرفت بالكاتبة أو ست الكتبة، لجودة خطها، وسمع عليها خلق كثير، وكانت قد أنشأت رباطا في رحبة جامع القصر، سكن فيه بعض العلماء، توفيت سنة (574هـ /1178م)[92].

وممن برزن في هذا العصر المحدثة ست الناس زينب بنت عبد الوهاب بن الحسين الصابوني الخفاف، الحنبلي(ت 588هـ/1192م) التي سمَّعَهَا أبوها من أبي القاسم هبه الله بن الحصين، وروى عنها ابنها عمر بن كرم الدينوري (ت 629هـ/1232م)[93].

وخديجة بنت الشيخ الإمام العلامة موهوب بن أحمد الجواليقي (ت598هـ/1203م) ، التي روت عن أبيها ، وروى عنها ابن النجار، وقال عنها كانت صادقة، كثيرة العبادة[94] .

ومن النساء في بغداد في القرن السادس الهجري فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن فضلويه

الرازي (ت 521هـ/1127م)، كانت واعظة متعبدة لها رباط تجتمع فيه الزاهدات سمعت الحديث الكثير وروته، وكانت صالحة، وقد ذكرها أبو الفرج ابن الجوزي في مشيخته[95].

يبدو من هذه الترجمة أن النساء كان لهن رباط أو أربطة في وقت مبكر من القرن السادس الهجري في بغداد، إذ لم يكن الوعظ ولا التصوف ولا علوم الشريعة ولا الأربطة الصوفية مقصورة على الرجال دون النساء، وفي هذا دلالة على دور المرأة العلمي في المجتمع البغدادي آنذاك.

ومن النساء الصوفيات الواعظات تمنّي بنت المبارك بن هبة الله ابن محمد السمسمي أمّ الرجاء الواعظة (ت558هـ/1163م)، كانت امرأة صالحة تعظ النساء ببغداد، وماتت وهي بكر ولم تتزوج، وكان لها رباط بالريحانيين، وقد سمعت الحديث وروته، وعاشت ثمانين سنة[96].

ويظهر من خلال هاته العينات من النساء اللواتي ساهمن في الحركة الفكرية ببغداد أن أغلبهن عاش في القرن (06هـ/12م)، وأكثرهن تخصصن في علم الحديث، واضعاتٍ بذلك حدا للإعراض الذي كان موجودا وحال دون تعلمهن ومشاركتهن للرجال في ذلك من قبل؛ ويعزو ذلك بعض الباحثين إلى ضيق مجال تعلمها حيث اقتصر على الأسرة، وعدم سماح المجتمع لها بتحمل مشاق الرحلة في طلب العلم من جهة ثانية[97].

ويكفي المرأة مكانة أن كبار العلماء في ذلك العصر لم يجدوا أي حرج في تعداد أستاذاتهم من النساء، فقد ذكر الفقيه الحنبلي أبو الوفاء بن عقيل أن ممن تلقى العلم عنهم امرأة تدعي الحرانية وبنت الجنيد، وابن الجوزي أطلق على المحدثة شهدة شيختنا[98].

يظهر من خلال ما تقدم أن الحركة العلمية شغلت الناس جميعا على مختلف طبقاتهم الاجتماعية من خلفاء وسلاطين ووزراء وعلماء ونساء ... ساهم الكل في إثراء هذه الحركة التي شهدتها بغداد في العهد السلجوقي، وأن الرعاية عامل مهم في ازدهار العلم والثقافة ،من خلال تشجيع طلبة العلم وتقريب العلماء وتخصيص الأموال للنفقة عليهم وإفساح المجالس للمناظرات والمحاورات، بالإضافة إلى إنشاء العديد من المؤسسات التي احتضنت هذه الحركة العلمية من مساجد ومدارس وربط وخزائن الكتب.

خاتمة:

يمكن القول أن فترة حكم السلاجقة لبغداد كانت مرحلة مزدهرة ثقافيا ويدل على ذلك الإنتاج الأدبي والعلمي الكبير، فباستثناء فترة حكم السلاطين الأوائل الذين لم يشجعوا العلم، فإن الحال تغير منذ عهد السلطان ملكشاه، حيث بدأ الاهتمام بالعلم والتعليم والعلماء، وأصبح الإنتاج يضاهي في مقداره ما سبقه في القرنين الثالث والرابع للهجرة.

وعلى العموم فان البحث قد خلص في الأخير إلى جملة من النتائج نجملها في ما يلي:

1- مهما كانت الأسباب التي دفعت السلاجقة إلى دخول بغداد: أهي استمرار للفتح الذي بدأ من جيحون، أم لنجدة الخليفة القائم بأمر الله الذي استغاث بطغرلبك، وسواء أكان لأطماع سياسية أم لأغراض دينية فإنه من غير شك انتصار للمذهب السني على التشيع وبخاصة الباطنية.

2- أن السلاجقة نشئوا في بلاد ما وراء النهر في بيئة سنية تتبع في الأصول المذهب الماتريدي والفروع المذهب الحنفي، وكانوا مقلدين متحمسين لذلك فقط، حيث انصرفوا للأعمال العسكرية وتركوا المسائل الفكرية لوزرائهم، لذا كان موقف سلاطين السلاجقة الأوائل من مخالفيهم في الإطار السني يرتبط بالمواقع الفكرية لوزرائهم، فالكندري الذي وزر طغرلبك كان حنفيا متعصبا لما أستأذن السلطان للعن الرافضة على المنابر أضاف لهم الأشاعرة.

3- يرجع الفضل إلى السلاجقة في تجديد قوة الإسلام وإعادة تكوين وحدته السياسية وظهورهم بقوة أيام الحروب الصليبية .

4- امتاز السلاجقة الأتراك في معاملاتهم بالتدين، وكانوا مظهراً للإنسان الفطري الذي هذبه الإسلام.. وباستثناء صور قليلة تحتمها الطبيعة البشرية التي لا تخلو من بعض القصور، فإن هؤلاء كانوا نموذجاً طيباً حتى في معاملتهم للخليفة العباسي الذي حفظوا له عرشه، فهم لم يكونوا كالذين انتصر بهم المعتصم، ولم يكونوا كالبويهيين حينما سيطروا على الخلافة وأذلوا كبرياء الخلفاء، بل كان لهم دور كبير في رفع راية الإسلام، وفي مد عمر الخلافة العباسية أكثر من قرنين من الزمان.

5- الكثير من الكتابات التاريخية تتحامل على السلاجقة وتنسب إليهم كل سيئة عاشتها بغداد والعراق عامة وتضعهم في صف واحد مع البويهيين، وهو توصيف غير صحيح ينمو عن تعصب ديني أحيانا وتعصب عرقي أحيانا أخرى.

المراجع:

1- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **تاريخ الخلفاء**، دار المعرفة، بيروت، ط04، 1999.، ص 361

2- الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله بن عثمان، **دول الإسلام**، دار صادر، بيروت،1999، ج 18 ص 323

3- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر أبو الفداء ،**البداية والنهاية**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، 1997، ج16 ، ص 50

4- السيوطي: المصدر نفسه، ص 368

5- السبكي، تاج الدين أبي النصر عبد الوهاب بن تقي الدين، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق محمود محمد الطناحي، محمد عبد الفتاح الحلو،دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د ت، ج 07 ، ص 258

6- زهير الكلبي، **موسوعة خلفاء المسلمين**، دار الفكر العربي، بيروت ، 1994 ، ج 02 ،ص 176

7- جلال الدين السيوطي : المصدر السابق ، ص 381

8- محمد جاسم المشهداني، **لخليفة المقتفي لأمرالله**،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد 1990 ، ص ص 85-86

9- الذهبي: المصدر السابق ،ج 20 ، ص 418

10- االذهبي: **تاريخ الإسلام** ،39 ، ص 258

11- ابن الجوزي: **المنتظم**، دار الكتب العلمية لبنان ،1992، ج 18 ، ص 166

12- المصدر نفسه: ج 18، ص 191

13- الذهبي: المصدر السابق، ج 40 ,ص 167

14- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: محمود الأرناء، دار ابن كثير، بيروت، 1986، ج 06 ، ص 415

15- محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي**، المكتب الإسلامي، لبنان، 2000 ، ط06 ، ج 02، ج 06 ، ص 298

16- يقصد ابن الجوزي

17- ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي، **رحلة إبن جبير**، دار صادر، بيروت، د ت ، ص 198

18- حسين امين ، **تاريخ العراق في العصر السلجوقي**،منشورات المكتبة الأهلية، بغداد، 1965، ص 376

19- حسين أمين: المرجع نفسه، ص 189

20- الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج 19 ، ص 176

21- ابن الجوزي: المصدر السابق، ج 17 ، ص 59

22- ابن العمراني ، محمد بن علي بن محمد،**الإنباء في تاريخ الخلفاء**، تحقيق وتقديم قاسم السامرائي، دار الأفاق العربية، القاهرة ، 1999ص 201

23- "تجارب الأمم وتعاقب الهمم "هو الكتاب التاريخي الوحيد الذي ألفه مسكويه (ت421هـ /1030م) ابتدأه من الأحداث التي وقعت بعد الطوفان وتوقف به عند أحداث 369هـ ، وأكمل هذا الكتاب الوزير العباسي أبو شجاع محمد بن الحسين الملقب ظهير الدين الروذراورى، وذلك إلى سنة 389هـ وسماه: " ذيل كتاب تجارب الأمم"، وهذا الكتاب ألحق به الجزء الثامن من "تاريخ أبي الحسين هلال بن المحسن الصابئ" ويحتوي على حوادث خمس سنين (389-393هـ)

24- ابن كثير: المصدر السابق، ج 16 ، ص 151

25- الذهبي: المصدر نفسه، ج 19 ، ص 29

26- يرجح الكثير من الباحثين أن سبب عزله من الوزارة هو الكفاية العظيمة التي أظهرها ، ووقوفه بشدة في وجه أطماع رجال الديوان وقادة الجيش السلجوقي وعلى رأسهم شحنة بغداد- محمد عبد العظيم أبو النصر :المرجع السابق ، ص 228

27- الصلابي: المرجع السابق ، ص 208

28- ابن العمراني: المصدر السابق ، ص 225

29- الذهبي: نفسه،ج 20، ص ص 426-430

30- عبد الرحمان ابن رجب، **ذيل طبقات الحنابلة**، حققه عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، مكة، 2005 ،ج 2 ، ص 122

31- عبد الله بن محمد بن علي الصنهاجي الاشيري، أبو محمد ، روى في بلاد المغرب عن القاضي عياض، وكان من كبار المالكية، طلبه الوزير ابن هبيرة من نور الدين محمود بن زنكي، فسيره اليه فأكرمه ، كان اماما في الحديث، ذا معرفة بالفقه ورجاله وله يد باسطة في النحو واللغة ،توفي سنة 561هـ / 1171م : الذهبي: المصدر نفسه، ج 20 ،ص 466

32- هو يوسف بن عبد الله بن بندار، أبو المحاسن الدمشقي الشافعي (ت563هـ ،/1167م) برع في الفقه والأصول والخلاف، ودرس بالنظامية، برع في المناظرة وكان يتعصب للاشعرية: ابن كثير: المصدر السابق، ج 16 ، ص 427

33- الذهبي: المصدر السابق، ج20، ص 428

34- ابن الجوزي: المصدر السابق، ج 18 ، ص 153

35- ابن تغري بردي، جلال الدين أبي المحاسن يوسف، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، دار الكتب العلمية ,بيروت , 1992. ،ج 05، ص 265

36- الصلابي: المرجع السابق ،ص 210

37- عبد النعيم محمد حسنين، **سلاجقة إيران والعراق**، مكتبة النهضة العلمية، مصر1970، ط 02 ، ص180

38- البنداري، الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني،**تاريخ دولة آل سلجوق** ،شركة طبع الكتب العربية، مصر ،1900، ص 26

39- السبكي: المصدر السابق ،ج 03 ، ص 389

40- ابن الأثير ،علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري ، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987. ص 394

41- اندلعت هذه الفتنة بحلول سنة 447هـ/1055م حين أمر السلطان طغرلبك بلعن المبتدعة على المنابر في الجمع فقرن وزيره الكندري اسم الاشعرية للتسلي والتشفي ،الذي كانت له خصومة سياسية مع الاشاعرة، وأصدر طغرلبك قراره بسجن ونفي الكثير من الاشاعرة أنظر :مصطفى مغزاوي: **البعد السياسي في انتشار المذهب الاشعري**، دار كنوز الحكمة، الأبيار،2011 ، ص 26

42- البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق، ص 45

43- في عام 476هـ/1074م دعا السلطان ملكشاه ونظام الملك كل علماء الفلك البارزين كعمر الخيام لغرض تعديل التقويم السنوي بما يتلائم مع مصلحة المواطنين، أنظر إبن الأثير: المصدر نفسه، ج 8 ، ص 409- حسن ابراهيم حسن: المرجع السابق، ج 4 ، ص 31

44- إسماعيل باشا البغدادي: **هدية العارفين في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت ، ص 471

45- توفي سنة 525هـ وعمره 27سنة وتولى السلطنة لمدة 12 سنة، صدر الحسيني :المصدر السابق ، ص:195

46- السلطان سنجر بن ملكشاه (471-552هـ) ولاه أخوه بركيارق بلاد خراسان سنة 490هـ إختلف مع أبن أخيه محمود ورفض توليه عرش السلطنة لأنه يعتبر نفسه أحق منه بها بعد وفاة أخيه محمد، فاندلع القتال بينهما سنة511هـ إنتصر فيه السلطان سنجر الذي إستطاع أن يعيد

للدولة السلجوقية هيبتها وأعترف به الخليفة المسترشد بالله سلطانا أعظم للسلاجقة سنة 513هـ- محمد البنداري : المصدر نفسه، ص 234- الحسيني: نفسه ، ص 180.

47- الحسيني،صدر الدين أبو الحسن علي بن ناصر،**أخبار الدولة السلجوقية** ،اعتنى بتصحيحه محمد إقبال، لاهور ،1933 ص234

48- الذهبي: المصدر السابق ، ج20 ، ص 385

49- D .ET J. SOURDEL :**LaCivilisationdeL 'Islam Classique** , B.Arthaud,Paris , 1968,p 112

50- السبكي تاج الدين: المصدر السابق، ج04 ص، ص: 309-328

51- الذهبي: المصدر السابق، ج19 ، ص 96

52- إبن الجوزي: المصدر السابق، ج 16 ، ص303

53- أبو القاسم القشيري: عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن محمد بن طلحة النيسابوري (375-465هـ)، كان علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول صنف التفسير الكبير والرسالة، سجن أيام طغرلبك في نيسابور بسبب الذي حل بالأشاعرة وكان هذاسببا في مغادرته نيسابور درس بنظامية بغداد. – الذهبي: المصدر نفسه ج 18 ص ص: 327-332 ، السبكي: المصدر نفسه ، ج5 ، ص ص : 153-159.

54- أبو المعالي الجويني : عبد الملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد بن عبد الله الجويني النيسابوري (419- 478هـ) شيخ الشافعية، كان يتردد إلى مدرسة البيهقي، ارتحل إلى بغداد ثم حج وجاور أربع سنين يدرس، ويفتي ثم عاد ودرس بنظامية نيسابور 30 سنة، من كتبه "الإرشاد في أصول الدين"، "الرسالة النظامية" أنظر السبكي: المصدر نفسه،ج 05، ص ص :165-184 ، الذهبي: المصدر نفسه، ج ،18 صص: 468-475

55- الفارمذي: الفضل بن محمد الفارمذي الخراساني (407-477هـ) الامام الكبير، شيخ شيوخ في عصره، المنفرد بطريقته في التذكير، صحب القشيري، كان عالما شافعيا، عارفا

بمذاهب السلف وحصل له قبول عند نظام الملك–الذهبي: المصدر نفسه ج 18 ص 565 ، ابن العماد: المصدر السابق، ج 05، ص 333

56- إبن الجوزي: المصدر نفسه، ج 16، ص 303

57- الصلابي: المرجع السابق، ص 126

58- الخانقاه: مكان يجتمع فيه الصوفية للذكر والعبادة

59- محمد عبد العظيم أبو النصر، **السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر2001، ص 207

60- شبل الدولة مقاتل: هو أبو الهيجاء مقاتل بن عطية بن مقاتل البكري، صهر نظام الملك ، لأن نظام الملك كان قد زوجه إبنته، ابن خلكان: المصدر السابق، ج 02 ، ص 130

61- ابن العماد: المصدر السابق، ج 05 ، ص 364

62- شمس الدين الذهبي: المصدر السابق، ج 19 ، ص 96

63- أبو نصر محمد بن منصور بن محمد، الملقب عميد الملك الكندري ، إستوزره السلطان طغرلبك السلجوقي ونال عنده الرتبة العالية والمنزلة الجليلة، كان شديد التعصب على الشافعية، عزله السلطان من الوزارة عام 456هـ/1064م ، وفوض الوزارة إلى نظام الملك– ابن خلكان: المصدر السابق، ج 05 ، ص ص 138–142

64- البنداري: المصدر السابق، ص 29

65- عبد الهادي محبوبة: **نظام الملك** ،الدار المصرية اللبنانية، مصر، 1999، ص 216

66- علي الصلابي: المرجع السابق ، ص 71

67- مريزن سعيد عسيري، **الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي**، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة،السعودية1987، ص 170

68- السبكي: المصدر السابق، ج 04 ، ص 34

69- ابن الجوزي: المصدر السابق، ج 16 ، ص 134

70- ابن العماد: المصدر السابق،ج 06، ص 455

71- ابن رجب، عبد الرحمان بن أحمد،**المصدر السابق**، تحقيق عبد الرحمان بن سليمان، مكتبة العبيكان، الرياض،2005 ، ج 01، ص 225

72- اسمه عبد الملك بن محمد بن يوسف البغدادي (ت 460هـ/1068م) من أسرة كبيرة القدر، من أهل الحديث والرواية، كان أوحد وقته في فعل الخير، ودوام الصدقة، والإفضال على العلماء، والنصر لأهل السنة: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج 12، ص 192

73- ابن رجب: نفسه، ج01، ص 320

74- الذهبي: **تاريخ الإسلام** ، ج 32،ص 177

75- ابن رجب: نفسه، ج 02، ص ص 335- 338

76- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن شمس الدين، **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994 ،ج 03 ، ص 168

77- السبكي: المصدر السابق،ج 05 ، ص 175

78- السبكي: نفسه، ج 06 ، ص ص 191-197، في الذهبي: **سير أعلام النبلاء** ، ج 19 ، ص 323

79- أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، دار الشعب، القاهرة، د ت ، ج 01 ،ص ص 109-118

80- عبد الرحمان بدوي، **مؤلفات الغزالي**، وكالة المطبوعات ،الكويت 1977، ط02 ، ص ص 551-567

81- ابن خلكلن: المصدر السابق، ج 03 ، ص 141

82- خالد علال كبير: **الحركة العلمية الحنبلية وأثرها في المشرق**، رسالة دكتواره ، جامعة الجزائر ،2003 ، ص111

83- أبي الحسين بن أبي يعلى، **طبقات الحنابلة** ، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ،مكتبة الملك فهد، الرياض،1999 ،ج 03، ص 450 – عبد الله بن محمد الطريقي، **معجم مصنفات الحنابلة**، مكتبة الملك فهد، الرياض ،2001 ، ص ص 69-71

84- ابن رجب : المصدر السابق، ج 02 ، ص 108

85- المرجع نفسه ، ص 116

86- عبد العزيز سيد هاشم غزولي: **ابن الجوزي**، دار القلم، دمشق ،2000 ، ص 351 ، خالد علال كبير : المرجع السابق ، ص 117

87- الذهبي: **العبر في خبر من غبر**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985 ،ج 02 ، ص 443

88- ابن الأثير: المصدر السابق ، ج 09 ، ص 148

89- ابن الجوزي: المصدر السابق ، ج18 ، ص 254، الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج 20 ، ص 543

90- ابن خلكان: المصدر السابق، ج 02 ، ص 478

91- ابن العماد: المصدر السابق، ج 06 ، ص 410

92- الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج 41 ، ص 297، إبن رجب: المصدر السابق، ج 02، ص 401.

93- ابن رجب: المصدر نفسه ،ص 523

94- ابن الجوزي : المصدر السابق، ج 17 ، ص 247

95- عمر سليم عبد القادر التل: **متصوفة بغداد في القرن 06 هـ** ، دار المأمون للنشر والتوزيع، الأردن، 2009 ، ص 102

96- خالد كبير علال، **الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث**، دار الإمام مالك ،البليدة ،2006، ص 110

97- ابن الجوزي: المصدر نفسه، ج 17 ، ص179.